المدرسة الآيلية واخناتون. الطريق إلى التوحيد

أ.م. د. حامد حمزة حمد
جامعة واسط – كلية الآداب

تمهيد:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين الحديث عن مسالة التجديد في الشعر، وشغلت الكثير من النقاد والشعراء والمثقفين إلى يومنا هذا، وكان من يرى أن شعراء عراقيين أمثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب ألبياتي، كانوا ابتدعوا طريقة في كتابة الشعر أسموه (الشعر الحر أو المرسل)، لكن المتتبع لطريقة كتابة الشعر عند قدماء المصرين أو العراقيين أو اليونانيين، لا يجد فرقا بين طريقة كتابة الشعر عندهم وبين كتابته بالطريقة التي قصدناها (الحر)، فالملاحم الشعرية القديمة عند جميع الشعوب كتبت بالنسق الذي نتحدث عنه، مما يدل على أن طريقة كتابة الشعر الحر لم تكن جديدة، إنما إحياء للطريقة القديمة التي سبقت كتابته العمودية، أو ربما أن الطريقة العمودية هي الطريقة الجديدة في كتابته، وما طريقة كتابته الجديدة إلا عودة للأصول الشعرية القديمة عند الشعوب. ولا نقصد من بحثنا هذا التقصي أو الفصل في قضية تجديد الشعر، على الرغم من أنه يتضمن قصيدتين من الشعر القديم، إنما هي أشارة قد تكون ذات فائدة لأهل التخصص.

إن من الدلائل على وحدة الجنس البشري، التشابه أو التناظر في الفكر بين الأمم والشعوب، ولطالما نجد ذلك واضحا في كثير من أعمال المفكرين والفلاسفة والشعراء، لا بل حتى في طرائق الحكم، وللتدليل على ذلك ارتأينا البحث في موضوع تشابه طريقة كتابة الشعر وطريقة التفكير في الوصول إلى هدف أو حقيقة معينة هي الأخرى متشابه بين ثلاثة فلاسفة من عصرين مختلفين وشعبين مختلفين، لكنهم تشابهوا في أثبات أن الحقيقة واحدة، كان الأول ملكا وحاكما لشعبه، تمرد على التقاليد القديمة بحثا عن الحقيقة الإلهية (الإله الواحد)، هو فرعون مصر القديمة أمنحوتب الرابع (اخناتون)، والآخران كانا فيلسوفين تمردا على الواقع الحسي، بحثا عن الأمان الروحي خارج الواقع الجزئي، وهما فيلسوف الثبات الدائم ومؤسس الميتافيزيقا ومدرسة إيليا (بارمنيدس)، وأعظم فلاسفة اليونان قبل سقراط،

وأكسينوفان الذي يعد هو أيضا مؤسس المدرسة الايلية وأول الموحدين من الفلاسفة والرافضين لفكرة تعدد الإلهة.

لقد عبر كل من اخناتون وبارمنيدس عن أرائهما في الفلسفة شعراً، أما الشبه بين اخناتون وأكسينوفان فان كليهما رفض تعدد الإلهة وامن بإله واحد.

عاش اخناتون في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد (ت١٣٦٢ ق. م)، وعاش أكسينوفان في القرن السادس قبل الميلاد (ت٥٧٠ ق. م)، أما بارمنيدس فقد عاش في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد (ت٤٥٠ ق. م)، والفارق الزمني بينهما كبير، ولكل من(اخناتون وبارمنيدس)، قصيدة في البحث عن الإله الواحد وعن حقيقة الوجودين (الحسي والعقلي)، كما أن كليهما سعى إلى التوحيد، ومن غير الثابت أن أكسينوفان وبارمنيدس وهما اللاحقان على اخناتون قد اطلعا على أفكار الأخير أو قصيدته في الآلهة وتأثرا بها، على الرغم من الدلائل الكثير على الصلات الثقافية بين الشعبين.

وكما هو حال الفكر الفلسفي عند اليونان الذي جسدته الملاحم الشعرية خاصة عند هوميروس، فان قصيدة اخناتون في الآلهة تعبر عن الفكر الفلسفي عند قدماء المصريين، وتجدر الإشارة إلى أن السبب الأساس في استعمال الشعر عند القدماء في التعبير عن أفكارهم هو أن الشعر كان الوسيلة الوحيد للتعبير، أي انه كان اللغة السائدة بين الناس خاصة للتعبير عن الأفكار، ولم تكن الطريقة التي نتبعها اليوم سائدة آنذاك، ولذلك نعتقد أن الفلسفة بدأت شعرا، ويعزز هذا الرأي أن القصائد الشعرية عند قدماء المصريين والعراقيين واليونانيين التي مثلت أفكارهم عن الخلق الأول والتكوين والصراع بين الخير والشر والخلود واليوم الأخر والعبادات الدينية بكل صورها وحيوية المادة وغيرها، هي التي كانت موضوعات الفلسفة.

فلسفة اخناتون:

أجمعت الدراسات في تاريخ الحضارات وعلوم اللاهوت أن مصر كانت مهبط عقيدة التوحيد[١]، فقد نشرت برديات (أون)، وهي مدينة الشمس أو هليوبوليس نظرية التوحيد بما ورد في مخطوطات قصة الخليقة عند قدماء المصريين أو ما أطلق عليه بالتاسوع المقدس، دلالة علي فكرة التوحيد في الديانة المصرية القديمة، ومطلع الأنشودة يؤكد على ذلك: (كان الله حكيما عندما خلق وحده بقدرته البشر قطيع الآلهة، صنع لهم الأرض ليعيشوا فوقها

والسماء لتغطيهم...الخ)[٢]، وقد تصور قدماء المصريين أن الإله الواحد يمثل القوة الكامنة خلف قرص الشمس، وهي التي تهب الروح وتعطي نسمة الحياة للبشر.

لقد تميزت معظم الحضارات القديمة بتعدد الآلهة وكثرتها، وان هذا التعدد والكثرة يدل على مبدأ الشرك في العبادات عند القدماء وعدم قدرتهم على تصور اله واحد يسمو على مجموعة الآلهة، ولم يصل العقل الإنساني إلى تصور اله واحد خالق لكل شي ألا في حالة فريدة من نوعها في تاريخ الحضارة المصرية القديمة، وكان ذلك في عهد حكم الفرعون أمنحوتب الرابع (اخناتون)، ولم تدم تلك المدة طويلا فقد قتل اخناتون وعاد قومه إلى ديانتهم الوثنية المتمثلة بتعدد الآلهة وتم القضاء على كل اثر للتوحيد تركه اخناتون.

إن أصل الآلهة عند قدماء المصريين مستمد من القوى الطبيعية شانهم شان بقية الأقوام الأخرى، مثل قدماء العراقيين واليونانيين، مما يدل على وحدة الوجود عندهم، كما عبدوا القوى الطبيعية المؤثرة في حياتهم اليومية بعد أن شخصوها وجسموها على هيئة البشر، وكانت أهم صفة لها أنها كالبشر من ناحية الشكل والروح ولكنها أسمى منه وبيدها القدرة ومصير الكون والطبيعة والإنسان وتتصف بالخلود بوجه عام.

وعند قدماء المصريين كانت الشمس الركن الأهم في العبادات والتقديس، فقد أطلقوا عليها اسم(الإله الشمس)، حيث نشأة عبادته في مدينة الشمس(هليوبوليس)، وبين كهنتها، وكان من أشهر الأسماء التي اشتهر بها (رع، أمون، آتون، خفرى، خفرع، هور اختى، ويعني هورس الأفق)[٣]. وفي قصة الخليقة عند المصريين كان الإله الشمس أول ملك بصفته الإله الخالق والفرعون خليفته، وهو أول شي ظهر في المياه الأولى، حسب القصة[٤]. كما تذكر قصة الخليقة نصا أخر يدلل على أن آتون أو الإله الواحد صانع كل شيء (في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان آتون وحده الإله الأول صانع الآلهة والبشر والأشياء)[٥].

أن قصيدة اخناتون تمثل واقع الفلسفة على نحو مميز عند قدماء المصريين، فقد أشار إلى الوجود الواحد والإله الواحد، ورفض فكرة تعدد الآلهة، وتوصل إلى أن مبدأ الوجود أو الحياة هو القوة الكامنة خلف قرص الشمس والتي تمثل الإله الشمس الذي تحمل أشعتها اذرع نسمة الحياة إلى البشر، وهو الإله الخالق (كل شيء، الواحد الذي ليس بجانبه شان لأحد، هو الأب وهو الأم وليس له والد وليس له ولد)[٦].

ومن الحقائق التاريخية المعروفة أن الانقلاب الديني الذي قام به اخناتون لم يتم دفعة واحدة، بل أن مقدماته بدأت في عهد جده تحتمس الرابع، الذي بدأ الدعوة لإحياء عقيدة التوحيد في العودة إلى عبادة الإله رع (رب الأرباب)، كما كان تحتمس الرابع أول من رمز للإله الواحد باسم آتون، الذي نادي به اخناتون فيما بعد[٧]. ولم يكد اخناتون[٨] يتولى الحكم حتى ثار على ديانة قومه وعلى الأساليب التي يتبعها الكهنة، وقد كان الملك الشاب في حياته الخاصة مثالا للطهر والأمانة ولم ترضه تلك العبادات الإباحية.

لقد كان اخناتون مرهف المشاعر والأحاسيس نحيل الجسم، جفونه كبيرة كجفون الحالمين، وكان شاعرا وثائرا ولم يقبل ما يسمى بالعهر المقدس أو سراري آمون من النساء، ورفض السحر والرق والفساد السياسي الذي ينشره الكهنة باسم الدين، وقد وصف أقوال الكهنة بأنها اشد أثما مما سمعه هو وأبيه أمنحوتب الثالث حتى السنة الرابعة من حكمه[٩]، كما عد تصرفات الكهنة تلك سببا في تدهور ديانة شعبه، فقد كره المال الحرام والمراسيم المترفة التي كانت تملا الهياكل، وأثاره ما كان للكهنة من سيطرة على حياة الأمة، وأعلن بشجاعة أن كل تلك الآلهة وجميع ما في الدين من احتفالات وطقوس كلها وثنية منحطة، وان ليس للعالم ألا إله واحد هو (آتون)[١٠].

وتعد قصيدته تلك أجمل ما موجود في الأدب المصري القديم، ومن القصائد الكبرى في التاريخ، فهي تمثل شرحا بليغا ووافيا لعقيدة التوحيد في زمن تعدد العبادات وتنوعها، وما كان ليخطر ببال احد أن هناك اله واحد هو رب الأمم كلها كما تصور اخناتون ذلك[١١]، وفي الوقت نفسه سعى اخناتون إلى تحطيم كل تماثيل الآلهة وإزالتها من عالم الوجود، لأنها ليست ألهه حقيقية وليس لها حصانه من رب الخلق، فليس هناك آلا اله واحد ليس له صورة أرضية يعبر عنها بأحد كائناتها.

ومن الجدير بالذكر انه ليس هناك أفصح تعبيرا عن عقيدة التوحيد من تلك الأناشيد التي تقص علينا تعاليم اخناتون على جدران مقبرة الكاهن (آي)، في تل العمارنة، كأنشودة الشمس المشرقة، وأناشيد الخلق، ودعاء اخناتون، التي تشبه إلى حد كبير مزامير نبي الله داود عليه السلام، التي جاءت بعدها بسبعة قرون[١٢]. وسنذكر هنا بعضا من دعاء اخناتون نقلا عن بردية تل العمارنة الموجود في(متحف برلين):

الله وحده لأشريك له... نعمه تفوق حبات الرمل التي تتكون منها الصحراء التي تمتد لتعانق الأفق على جانبي نهر النيل.

وتفوق قطرات الماء التي تكُون البحار اللانهائية التي تمتد لتعانق السماء.

لننظر إليه ونسبح بنعمه.

عندما يشرق نورك على الكون تعود إليه الحياة.

يذهب كل إلى عمله ويسبح الكل بحمدك.

يا أيها الإله الأوحد الذي لا يوجد بجانبه شان لأحد.

خلقت الأرض حسب مشيئتك وطوع رغبتك.

عندما كنت وحيدا ولاشيء غيرك.

وما يطير بأجنحته وما يغوص في الماء.

ما يمشي على رجليه وما يزحف على بطنه

خلقت لكل واحد منهم مكانه وقوته ورزقه وأيامه المعدودات(١٣).

وفضلا عن دعاء اخناتون السابق، ولطول قصيدته في مناجاة الذات الإلهية لأتون اله التوحيد سنقتصر على إيراد بعض مقاطع أو مقتطفات منها، وما يدل على تصور الإله الواحد عنده:

(انك تشرق ببهائك وجمالك في أفق السماء وأنت أتون الحي كنت في أزلية الحياة وبداية الوجود.

انك جميل، عظيم براق، عال فوق كل الرؤوس، أشعتك تحيط الكون كله حتى أطراف ما خلقت، أنت(رع)، تخترق الأرضيين حتى النهاية القصوى.

على الرغم من انك نجاة البشر، فان خطواتك خفية عنهم، ، وأنت تسوقها كلها أسيرة؛ وانك لتربطها جميعا برباط حبك.

عندما يشرق نورك على الكون تعود إليه الحياة ويذهب كل إلى عمله ويسبح الكل بحمدك.

ويسطع نورك (كأتون)، شمس النهار.

فتحتفل أرضك المقدسة بالعيد.

يا من تخلق بذرة الحياة بالمرأة.

وتخلق وسائل الحياة بالرجل ليذر من البذر أناسا.

يا من تجعل الطفل يعيش في رحم أمه وتهدئه حتى يكف عن بكائه.

مرضعا إياه في الرحم ومعطيه النفس حتى يحفظ له الحياة.

وكل إنسان خلقته حين ينزل من الرحم يوم ولادته.

فأنت تفتح فمه وتمنحه ضروريات الحياة وتمنحه كتاب اجله ومصيره في هذه الدنيا. خلقت الوديان والجبال والبحار والأنهار)[١٤].

لقد كان اخناتون فيلسوفا بحق، سبق كل فلاسفة اليونان القائلين بالوحدة، والداعين إليها، فبالرغم من تعدد الآلهة التي لا حصر لها عند القدماء استطاع أن يتصور انه من الممكن اختصارها في اله واحد، هو خالق كل شيء، وتلك هي الفكرة الأصيلة عنده وهي فكرة التوحيد التي قضى بها على العبادات الوثنية في مصر القديمة. أن عبارات مثل، الله وحده لأشريك له، الإله الأوحد الذي ليس بجانبه شان لأحد، وأزلية الحياة، واللانهائية، وبداية الوجود، وغيرها من العبارات التي تدل على فكرة التوحيد، تمثل النضوج الفكري للمفكر المصري القديم الذي مثله فكر اخناتون .

لقد كانت قوة الكهنة وسيطرتهم وسطوتهم الدينية على المجتمع المصري القديم سبباً أساسياً قي عدم استمرار تعاليم ديانة اخناتون، ففضلا عن مناوئتهم له، كانت الدولة المصرية القديمة دولة دينية وثنية، تتأثر معظم أركانها بمواقف الكهنة وسلطتهم، أن سلطة المعابد كانت أقوى من سلطة فرعون، فالفصل في كثير من أمور الدولة كان بالعودة إلى الآلهة واستشارتها حتى في أمور الحرب أو الحملات العسكرية، ومعظم الفراعنة كانوا يقدمون القرابين إلى الآلهة ويتبركون بها في حملاتهم العسكرية، وهذا حال كل المجتمعات القديمة، ولم يقل تأثير السلطة الكهنوتية في سياسة الدولة المصرية القديمة إلا في مدة وجيزة (حكم اخناتون)، كان الكهنة فيها يتآمرون ويتربصون به حتى تمكنوا من قتله والقضاء على ديانته نهائيا، وحرموها على الناس، وحاربوا كل من استمر في عبادة آتون، وعادوا بالمجتمع إلى سابق عهده.

أن السبب في فشل ديانة اخناتون بعد وفاته، هو أن الفرد المصري القديم كان لا يستطيع أن يفصل العبادات الدينية التي هي حالات شخصية عن سلطة الكاهن أو الفرعون، فضلا عن الأثر الكبير للكهنة في صياغة الديانة المصرية وبنائها من خلال إدخال الكثير من

التعاليم والتعقيد والاضطراب فيها كي تزداد حاجة الناس إليهم في الشرح والتفسير لقاء اجر مادي(١٥).

أن كل أثار الحضارة المصرية القديمة من أهرامات ومقابر ملكية وتماثيل كثيرة ومتنوعة تدل أن الدولة المصرية القديمة كانت دينية وثنية حتى نهايتها ولم تكن ديانة اخناتون ألا ومضة في ظلام دامس لم تدم طويلا ولم تجد من يدافع عنها كما هي حال الديانة اليونانية لاحقا، فالأمر هنا مختلف تماما، فبعد أكسينوفان الموحد تبنى الكثير من الفلاسفة الدفاع عن عقيدة التوحيد في الفكر اليوناني، وكان لتلك الفكرة صدى مؤثر في فلسفة بارمنيدس المتمثلة في الثبات الدائم والوحدة، و المدافعين عن تلك الوحدة أمثال زينون الايلي وميلسوس، كما أن فكرة سقراط حول المفاهيم والكليات هي محاولة للتوحيد الجزئي المحسوس في كل واحد معلوم، دفاعا عن الوحدة في الوجود، تمثل روح فلسفة أكسينوفان، وفكرة مثال الخير الأعظم (واهب الوجود عند أفلاطون)، والمحرك الذي لا يتحرك (الله عند أرسطو)، هي الأخرى امتداد لفكرة الوحدة عند أكسينوفان بصورة خاصة والمدرسة الايلية على نحو عام .

المدرسة الآيلية. مدرسة التوحيد:

لقد كانت مصر الفرعونية في يوم ما جزء من بلاد اليونان الكبيرة (يونان الاسكندر المقدوني)، وكانت اليونان من قبل جزء من مصر القديمة، ولم يفصل اليونان عن مصر سوى البحر، وكان كلا الشعبين من أسياد البحر وهواته، ولم يكن يشكل عائقا في اتصالهما في جوانب الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية، والبحث عن أسباب الاتصال الثقافي أو الديني قد يكون سهلا، لما للثقافة المصرية من اثر واضح في نظيرتها اليونانية، ومرجع ذلك أن الكثير من الفلاسفة اليونان قد زاروا مصر واطلعوا على ثقافتها الدينية، وتأثروا بها، ولم يكن ذلك خافيا على احد بل أن الفلاسفة اليونان أنفسهم اعترفوا بفضل الثقافة المصرية على نضوج وتطور الفكر اليوناني، خاصة الديني منه، فطاليس، وفيثاغورس وأفلاطون، كانوا أشهر من زار بلاد وادي النيل وتأثروا بالعلم المصري القديم وشهدوا له بالرفعة والدهشة من التطور الكبير الذي بلغه، وكان ذلك حافزا لهم في الاطلاع عليه والأخذ منه، لذالك نجد الكثير من الفكر المصري القديم له صدى في الفلسفة اليونانية، ويوضح أفلاطون في محاورة تيماوس أن الحضارة المصرية القديمة أقدم من حضارة اليونان، بعد أن زارها واطلع على آثارها العجيبة وآلم بعلومها وعقيدتها وشعائرها الدينية وآدابها، ويذكر حديث طريفا دار بين

(سولون)، المشرع اليوناني القديم الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد، وكاهن مصري كبير السن، قال كاهن صا الحجر: (ياسولون: انتم معشر اليونان لا تزالون ابد الدهر أطفالا، لا وجود لشيخ يوناني)[١٦]، فلما سمع سولون ذلك، قال ماذا تعني بقولك هذا، فأجاب الكاهن:أن روح كل منكم روح شابة، إذ ليس في قلبوكم معتقد واحد قديم أو مستمد من تقليد قديم، بل ليس لديكم علم واحد عريق في القدم)[١٧].

وتعد جذور الفكر والفلسفة عند معظم الفلاسفة اليونان خاصة الذين زاروا مصر أو بلاد الرافدين قد استمدت من علوم تلك الشعوب، ولم تكن المدرسة الآيلية بمنأى عن تلك التأثيرات، خاصة في الفكرة موضوع البحث، واعني فكرة التوحيد، التي اشتهرت بها الديانة المصرية القديمة بشكل عام، وديانة اخناتون بشكل خاص، وعلى الرغم من سهولة فكرة التوحيد عند اخناتون، لكنها كانت الحافز للفلاسفة اليونان في البحث عن الوحدة في الوجود، خاصة الذين مثلوا المدرسة الآيلية وهم أكسينوفان وبارمنيدس.

لقد كان اخناتون فيلسوفا موحدا كما مر ذكره، سعى إلى توحيد العبادات في اله واحد، على الرغم من الكثرة والتعدد وتنوع العبادات، تعد تلك الخطوة البداية الأولى للتفلسف، لاسيما أن الفلسفة عند اليونان بدأت بأفكار اقل نضجا من فكرة اخناتون في التوحيد، وفي أحيان أخرى كانت أفكار مشابهه تماما لفكرة الواحد كما هو الحال في فكر المدرسة الآيلية، أن فكرة اخناتون في الإله الواحد تمثل النضج العقلي والفكري الديني عند قدماء المصريين، فضلا عن السبق الزمني لهم على الفلاسفة اليونان في تصوراتهم تلك.

وتعد فكرة الإلوهية ومنذ زمن بعيد الشغل الشاغل للإنسان، فقد اتخذت أشكالا متعددة على مر العصور بسب اختلاف نظرة الناس إلي الآلهة وتفسيرهم للمظاهر الطبيعية التي تتحكم بسلوكهم وتصرفاتهم، وكان لعامل القلق المستمر من تلك المظاهر الأثر الكبير في محاولات الإنسان الأولى البحث عن القوى التي تتحكم بمصيره ومستقبله الغامض، وكان ذلك السبب الكامن وراء فكرة الإنسان في بحثه عن خالق للوجود، أو القوة التي تتحكم بتلك المظاهر التي تخيف الإنسان وتقلقه على الدوام، ومنذ ذلك الوقت اخذ الإنسان يبحث عن تلك القوة الخفية التي تصورها بمظاهر الطبيعة ونظر إليها نظرة إلهية .

وبعد تطور الوعي لدى الإنسان بدأ يتساءل عن أصل تلك المظاهر وما هي القوة المتحكمة بها، وما هو مصير الوجود وما هو مصير الإنسان، وتمكن أن يخطو خطوة أكثر جرأة من الأولى وهي تصور الآلهة على هيئة بشر، بعد اقتناعه بعدم جدوى تاليه الظواهر الطبيعية، وجعل من الآلهة تشكل أفرادا وجماعات وتسكن في أماكن مخصصه لها[١٨]،

وتتحكم بمصيره، كما هو تصور الآلهة في أسطورة الخلق عند السومريين[١٩]، والتصور اليوناني في الأساطير الهوميرية. وبعد هوميروس انتقل التصور الإنساني إلى مرحلة أكثر وعيا من السابق، فقد رفض أكسينوفان وهو اللاحق لهوميروس كل تصورات الأخير وعد وصفه لها أنما يعبر عن انحطاطها[٢٠]، كما رفض فكرة تعدد الآلهة، وقال أن تلك الكثرة تخفي وراءها الوحدة ، ولا يوجد إلا اله واحد .

إن فكرة الوحدة في الفلسفة بعامة واليونانية بشكل خاص هي الأساس في معظم التصورات الدينية، وفي الفكر اليوناني كان الأساس في قيام التفلسف منذ طاليس هي فكرة المبدأ الأول التي اتخذت أشكالا مختلفة عند الفلاسفة حسب تسلسلهم الزمني، وكان هذا التسلسل التاريخي الذي مثل الصراع بين الأفكار ونقضها عند اللاحقين حول حقيقة ذلك المبدأ بمثابة الحافز لتطور فكرة الوحدة بشقيها الديني والفلسفي.

ويعد انكسمندروس (٦١١-٥٤٩ ق.م)، وهو تلميذ طاليس المالطي (٦٢٤-٥٤٦ ق.م)، مؤسس المدرسة الفيزيولوجية الأيونية، أول من أشارة إلى فكرة الواحد اللا متناهي كماً وكيفاً بوصفه مبدأ الوجود، وهو كتله غير محددة ليست لها صفات خاصة ولكنها تنمو وتتطور بما فيها من قوى ذاتية حتى نشأت منها جميع حقائق الكون على اختلافها، وهذه اللانهائية الحية السرمدية التي ليست لها صلة بالشخصية والصفات البشرية الأخرى هي الإله الذي لا اله غيره، عنه يصدر كل شيء وهو الواحد السرمدي الذي يحوي الكثرة في داخله، وفي نفس الوقت مختلف عن الكثرة الفانية المتغيرة التي تمثل عالم الأشياء، من هذه اللانهائية الأزلية الأبدية التي لا خواص لها تتولد العوالم الجديدة في تتابع لا ينقطع أبداً، واليها تعود في تتابع لا ينقطع أبداً، هذا هو الأساس في قول كل من أكسينوفان في الواحد الميتافيزيقي السرمدي الذي لا مثيل له في عالم الإله المتعددة، وبارمنيدس في الواحد الثابت الذي يمثل حقيقة الفكر والوجود[٢١].

اخناتون وأكسينوفان:

من المعروف للباحثين في حقل الفلسفة اليونانية أنها ذات صلة باتجاهين، الأول ذو طابع ديني لاهوتي مستمد من الآراء الميثولوجية والدينية والتصوف[٢٢]، ويمثل هذا الرأي مجموعة من الباحثين على رأسهم الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه[٢٣]، والثاني يرى أن الفلسفة اليونانية مقطوعة الصلة بالميثولوجيا والدين، ويمثل هذا الرأي جون برنيت[٢٤]. والرأي الأصح عندي هو الأول لقربه من الحقيقة، لأن كل الأفكار التي أَسَسَت الفلسفة

اليونانية في بواكيرها الأولى، مثل فكرة الماء الأول عند طاليس، واللا متناهي عند انكسيمندروس، واللوغوس عند هرقليطس، والواحد عند أكسينوفان ، والوجود الثابت الدائم عند بارمنيدس وسواها من الأفكار، مستمدة من تصورات دينية سابقة لها، كما أن للدين والآلهة أثرا كبيرا في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للفرد اليوناني، فضلا عن عدم قدرته الاستغناء عنهما، ولم يكن دور الفلاسفة اليونانيين في حقل الدين سوى تخفيف من دور الآلهة في حياة الفرد اليوناني، وقد انحسر ذلك التوجه في كثير من الأحيان بين الفلاسفة أنفسهم، ولم نجد له تطبيقا في الحياة اليومية للفرد اليوناني إلا في حالات نادر جدا، في حين سعى اخناتون كما مر بنا إلى ترك كل أشكال العبادات السابقة على دينه واجبر الناس على عبادة آتون الإله الواحد، وكان تأثيره على المجتمع المصري القديم اكبر من تأثير الفلاسفة اليونان على المجتمع اليوناني.

لقد حاول أوائل الفلاسفة اليونان أن ينفذوا إلى أصل العالم وتكوينه، لكنهم لم يستطيعوا التخلص من الآراء القديمة والعقائد الدينية السائدة في المجتمع اليوناني آنذاك، على الرغم من أنهم هم من حاول تحطيمها[٢٥]، وارسوا دعائم الديمقراطية، ونادوا بتحرر الفرد من العبودية بإشكالها الدينية والاجتماعية .

أن فكرة الوحدة الإلهية في الفلسفة اليونانية لم تكن سوى أفكار لم تجد طريقها إلى التطبيق وبقي المجتمع اليوناني مجتمعا وثنيا، على الرغم من أن الفلسفة قد بلغت قمة ازدهارها فيه خاصة في زمن أفلاطون وأرسطو، مما يدل على عدم قدرة الفلاسفة على تغيير حال المجتمع، ومن حاول ذلك لاقى التعذيب والسجن والطرد والقتل، والشواهد على ذلك كثيرة.

هذه هي أوجه الشبه بين المجتمع المصري واليوناني القديم في تصوراتهما الدينية، فقد استمدا وجدها من سلطة الدين والكهنة والمعابد، كما أن معظم آلهة اليونان هي في الأصل جاءت من الخارج، (من الاخيين في الشمال والمصريين في الجنوب)، كما يذكر هيرودوت ذلك[٢٦]، وكان تأثير الحضارة المصرية القديمة واضحا فيها[٢٧]، من خلال عبادة الإله ديونيسيوس الذي يعد من آلهة الحضارة المصرية، فضلا عن تشابه أسماء الإله بين الحضارتين.

أن فكرة الإله الواحد وجدت مع الحضارة المصرية القديمة وتحديدا مع اخناتون فيلسوف التوحيد الأول كما وصفناه، ولم تكن فكرة أكسينوفان في الإله الواحد سوى دعوى جديدة لإحياء تلك الفكرة، وتجدر الإشارة إلى أن فكرة الإله الواحد عند اليونان قد وجدت مع

تطور العقلية اليونانية، ففي القرن السادس قبل الميلاد توجه الفكر اليوناني إلى ضرورة توحيد الآلهة، ونبذ فكرة التعددية، ليتماشى مع تطور الفكر الفلسفي الذي بحث عن الوحدة والنظام في الوجود، ولابد من وجود اله واحد مسؤول عن ذلك النظام[٢٨]، وكان ذلك سببا دفع أكسينوفان إلى البحث عن الوحدة في خضم كثرة الآلهة بنظرة فلسفية متأنية أخذت أسبابها من الواقع الحسي، وهي ذات الفكرة والهدف عند اخناتون.

لقد دل أكسينوفان على فكرته الميتافيزيقية في التوحيد من خلال فكرة حسية سهلة جدا، هي ملاحظته شكل ولون الآلهة التي درج الناس على عبادتها واختلاف ذلك بين الأمم والشعوب حسب أشكالهم وألوانهم، فكل امة حسب رأيه تصور آلهتها بالصورة التي تراها ملائمة، هذا أولا وثانيا، رفض رفضا قاطعا فكرة أن تكون الآلهة على هيئة الإنسان، وهذه هي الفكرة الأهم، إذ لا يمكن للناس أن يتصوروا شكلا للإله أفضل من شكل الإنسان، وأقصى ما يستطيعه الإنسان هو تجميل صورته وإضفائها على الآلهة، لأنه لا يمكن أن يجد صورة أجمل من صورته في الطبيعة، والإنسان غير قادر على تجاوز الطبيعة في تصويره للأشياء، لذلك كان شكل الآلهة في أرقى ما تصوره الإنسان هي على هيئته، كما هو حال أجمل آلهة اليونان (أثينا)، التي كانت على هيئة امرأة جميلة، كذلك حال الشعوب الأخرى.لذلك كان أكسينوفان يرى أن الآلهة بأشكالها البشرية تلك من صنع الخيال الإنساني، وفي الحقيقة هي أسمى من أن تكون كذلك، حسب رأيه، لان الإله لا يشبه الإنسان لا في صورته ولا في فكره[٢٩]، ومن خلال ذلك توصل أكسينوفان إلى تصوره الجديد للإله الذي لا يمكن أن يكون على هيئة الإنسان، بل هو أسمى من ذلك، فلا يوجد ألا اله واحد ارفع الموجودات السماوية والأرضية، ليس مركبا على هيئتنا، ولا مفكرا مثل تفكيرنا ولا متحركا، ولكنه ثابت، كله سمع، وكله بصر، وكله فكر، منزه عن المادة، ليس كمثله شيء، يحرك الكل بقوة عقله وبلا عناء[٣٠]. هذا القول يشبه قول اخناتون في الإله الذي لا يوجد بجانبه شان لأحد، وخالق كل شيء، وليس كمثله شيء. وهكذا يرى كل منهما انه لا يوجد ألا اله واحد منزه عن كل الصفات البشرية والمادية.

أن هذا المستوى من النضج في التفكير الإنساني في تصور الإله لا يمكن أن يكون وليد المدة التي ازدهرت فيها الحضارة اليونانية، بل لابد من وجود مؤثرات خارجية ذات نزعة قوية أثرت في الحضارة اليونانية، ونرجح أن تكون للحضارة المصرية الأثر الأساس في ذلك، فقد وجدنا اثر الثقافة المصرية القديمة على كثير من الفلاسفة اليونان واضحا من خلال أعمالهم وأقوالهم، خاصة الذين زاروا بلاد مصر القديمة واطلعوا على ثقافتها وديانتها،

كما مر ذكره، وقد كان ذلك واضحا من خلال النزعة الدينية التي تميزت بها الحضارة اليونانية، وهي تجسيد للفكر الشرقي القديم (خاصة الفكر المصري)، الذي كان ذا صلة وثيقة بالدين وطقوسه(٣١).

ومن الجدير بالذكر أن أكسينوفان كان مصلحا دينيا فضلا عن اشتغاله بالفلسفة، قدم إلى مدينة إيليا بعد أن انهارت مدينة كولوفون، وكان ينشد الأشعار الدينية والفلسفة، وقضى معظم حياته مرتحلا ومتجولا بين مدن اليونان ينشد الأشعار ويغني في الأعياد والاحتفالات(٣٢)، وهذا قد يكون دليلا على انه تلقى من تعاليم الحضارة المصرية في أثناء تجواله أو ترحاله، أو ربما زار مصر واطلع على ديانتها القديمة وعرف فكرة التوحيد منها.

وخلاصة القول في أكسينوفان، انه أول من هاجم التصورات في الدين الشعبي، وناهض التصورات التي قدمتها أساطير هوميروس وهزيود، وقد يكون لهوميرس أثرا في ولادة فكرة الإله الواحد عنده، كما عد أكسينوفان أول مفكر يوناني موحد، فقد قال عنه أرسطو انه القائل بان الواحد هو الله(٣٣). وستجد فكرته تلك صدى كبير عند الفلاسفة اللاحقين له، خاصة بارمنيدس، الذي تمكن من تحويل تلك الصورة عن الآلهة إلى فكرة فلسفية حقيقية كانت الأساس في بناء مذهب الوحدة في المدرسة الآيلية، ولهذا السبب عد أكسينوفان مؤسس هذه المدرسة(٣٤).

اخناتون وبارمنيدس:

على الرغم من أن كثير من المعطيات التي تدل على اثر الثقافة المصرية القديمة على الفلسفة اليونانية، ألا أن من الباحثين من ينكر ذلك(٣٥)، والذي لا يمكن إنكاره، اعتراف فلاسفة اليونان أنفسهم بهذا الفضل، ونقلهم بعض الشواهد عن ذلك، مثل قصة الحكيم سولون مع احد الكهنة المصريين أنفة الذكر، واعتراف كل من طاليس وفيثاغورس وأفلاطون بزيارتهم لمصر القديمة والانتفاع بعلومها والاستماع لكهنتها، وغيرها من الشواهد. أن انعدام الفلسفة المصرية المستقلة عن الدين، لا يعني انعدام تصورات عن مبدأ وجود الكون والآلهة، على الرغم من اختلاط تلك التصورات بالأسطورة والخرافة وهو حال الفكر الإنساني ما قبل الفلسفة.

أن كثير من التصورات الفكرية عند قدماء المصريين قد تسربت إلى محيط العقل اليوناني وهو في بداية تفتحه، وكان لهذه العناصر الفضل في نضج كثير من الأفكار

الأسطورية، حتى تلك التي جاءت من الأساطير اليونانية، مثل فكرة المبدأ الأول أو الأصل الأول للوجود التي كانت الأساس في قيام التفلسف عند اليونان.

أن الذي ميز اليونان في نبوغهم الفكري وابتعادهم عن الفكر الأسطوري وولادة الفلسفة بعد ذلك، هو أنهم تناولوا بالنقد الحر المحايد نظمهم الدينية التي كانت تتمثل في مجموعة من الأساطير الخرافية التي هي في معظمها من نسج الخيال، كما تعرضوا أيضا إلى تقاليدهم وأخلاقهم وعاداتهم ونظمهم السياسية، واحلوا محلها نظما محكمة لا تخضع إلا لدواعي المنطق والعقل والقانون.

أن فكرة الوحدة الفلسفية أو الدينية هي التي أرست دعائم المدرسة الآيلية كما مر ذكره، وهي الفكرة التي امن بها أكسينوفان في قوله الكل هو الواحد ولا يوجد غير هذا الواحد العقلي غير المدرك، وهي ذات الفكرة عند اخناتون التي امن بها وجعلها دستورا لدولته الدينية. لقد بحث كل من اخناتون وفلاسفة المدرسة الآيلية في الوحدة واختلفت طرائق بحثهم، ولكن في النهاية كان الكل قد امن انه لا وجود إلا للواحد الديني أو الفلسفي الثابت غير المتحرك خالق كل شيء.

أن التشابه بين اخناتون وأكسينوفان، هو أنهما وحدا عبادات القوم بغض النظر عن مستوى الممارسة والتطبيق في الواقع ونتائج ذلك، والواحد الإلهي الذي دعا إليه الاثنان هو ما أخذه بارمنيدس وطبقه على الوجود الفلسفي، وجعل منه الله والعالم وكل شيء، هو الواحد الكلي الثابت، وهو مبدأ الوجود. وفضلا عن هذا التناظر في الفكر بين الثلاثة، فان اخناتون وبارمنيدس قد توصلا إلى حقيقة الوحدة الإلهية أو الفلسفية عن طريق العقل، ودونا تلك الحقائق بأسلوب شعري، ولكل منهما قصيدة في أثبات ذلك الواحد وصفاته.

أن فكرة الإله الواحد الذي لا يشبه الفانين لا من حيث الصورة ولا من حيث الفهم، هي التي طورها بارمنيدس من فكرة دينية، نظرت إلى مجموعة الآلهة والأشياء ووحدتهم، إلى فكرة فلسفية حقيقية نظرت إلى مجموعة الأشياء الحسية المتحركة والمتكثرة وصورتها في وحدة واحدة ثابتة أزلية هي في مجموعها تشكل العالم الثابت الكلي الواحد الذي هو الله.

أن فكرة الواحد الإلهي أو الفلسفي أو العددي، هي في الحقيقة اختصار كل الأسباب في سبب واحد أو مبدأ واحد، كما أن الفيثاغورية السابقة على بارمنيدس كانت قد جعلت من الواحد العددي مبدأ الوجود، وهي الأخرى آمنت بالوحدة وسعت إليها، وهكذا كانت الوحدة الدينية جزء من الوحدة الفلسفية، وان كانت الأخيرة لاحقه لها في التصور، فالوحدة الدينية

عند اخناتون وأكسينوفان هي جزء من الوحدة الفلسفية عند فيثاغورس وبارمنيدس، على الرغم من اختلاف تصوراتهم وطرائق بحثهم في تلك الوحدة، ولكن النتائج كانت متشابهة، وتوصلوا جميعا إلى أن الكل هو الواحد الإلهي أو الفلسفي، وكما لاخناتون قصيدة في وصف الإله، فان لبارمنيدس قصيدة في الغرض نفسه.

ومن الجدير بالذكر أن بارمنيدس كان مشرعا، سن القوانين لمدينته (إيليا)، ظلت تسير عليها لزمن طويل[٣٦]، وهذا يعني انه عمل في السياسة، ومن دون شك فان التجربة السياسية التي عاشها بارمنيدس قد صقلت موهبته وأنضجت عقله ودفعته إلى البحث في مبدأ الوجود البادي أمامه متكثرا ومتنافرا، وكان هذا المبدأ هو النظام الذي يحوي الكل، وهكذا كان لعمله في السياسة دورا في إلهامه في بحثه عن الوجود، وهو من دله إلى الواحد الثابت، لان ذلك يشبه القانون الذي يحكم الكل ويطيعه الكل، لقد توصل إلى أن حقيقة الوجود لا تقبل التغير أو التبدل أو الفناء، وكان للفكر أثر في استنباط حقيقة الوجود، الفكر عنده لا يختلف عن الوجود، لأنه ليس إلا فكر الوجود، والإدراك الوحيد الصادق هو الإدراك العقلي الذي يمكننا من التعرف على الوجود غير المتغير(ما يتلفظ به، وما يفكر به، يجب أن يكون موجودا)[٣٧]، و(ما نفكر فيه، وما من اجله يوجد التفكير شيء واحد)[٣٨].لقد أدرك بارمنيدس أن هناك عالما متميزا ذا قوانين خاصة ، هو عالم الفكر الخالص، مختلف عن عالم الأشياء الحسية، أعلى منه مرتبة، وهي التي يجب أن تخضع له، فإذا كان الواقع متعددا ومتكثرا، فان الفكر يقوده إلى عالم الوحدة المطلقة والثبات الدائم، انه الواحد الأزلي، الأبدي، السرمدي، الثابت، الذي يجب أن يكون في حاضر ابدي ولا يعرف الصيرورة[٣٩]، ولا يمكن تحديد نقطة البداية والنهاية فيه، وهذا ما يشبه وصف الإله عند أكسينوفان واخناتون.

لقد كان بارمنيدس سياسيا مرموقا من خلال القوانين التي سنها لمدينته كما أسلفنا، وكان لذلك أثرا في منهجه الفلسفي، وهو حال اخناتون الذي كان لمكانته السياسية الأثر الأساس في بناء مذهبه في الوحدة، وفضلا عن تلك الصفات المتشابه ، فقد عبرا عن أفكارهما في الفلسفة بأناشيد وقصائد شعرية، ويعد بارمنيدس أول من صاغ مذهبه بطريقة الشعر، واتخذ منه وسيله للتعبير عن فلسفته، وقد سبقه في ذلك اخناتون في وصف الإله آتون.

وتجدر الإشارة إلى أن من الممكن أن يكون السبب في اتخاذ الشعر أداة للتعبير عند بارمنيدس يعود إلى شعوره بصعوبة الفلسفة وإدراك معانيها، فاختار الشعر لتقريبها إلى الناس وجعلها مقبولة ومستساغة، كما يرى أن الأسلوب الشعري هو الأقرب إلى مقام الآلهة،

الذي هي عنده اله واحد (ربَة واحدة)، هي التي تعلم منها الحقيقة في أن الكل هو الواحد، ولم يفصح عن اسمها(٤٠)، كما سنلاحظ ذلك في مقتطفات من قصيدته المشهورة في الفلسفة التي سنوردها لاحقا.

أن الصفات التي منحها بارمنيدس إلى الواحد هي دليل على انه قصد الوحدة الإلهية ممتزجة بالوحدة الفلسفية، لان الواحد عنده الفكر والوجود والعالم والأشياء، ، ولكن طريقة بارمنيدس في إثبات الإله الواحد الكلي المطلق، كانت غير تلك التي عند أكسينوفان. لقد كان تصور الناس للآلهة هو الذي قاده أكسينوفان إلى إدراك الواحد كما أسلفنا، في حين أن قوانين بارمنيدس وتشريعاته التي كانت مقدسة عند الأيلين هي التي قادته إلى الإيمان بالواحد الأوحد المطلق الذي لا مثيل له على الإطلاق.

مقتطفات من قصيدة بارمنيدس في وصف الواحد المطلق:

لا يبقى إلا طريق واحد للكلمة،

بموجبها تتكون وعليها إشارات كثيرة العدد،

لكونه لا مولود ، انه لا فان أيضا،

ولأنه سليم بكل أعضائه، بدون قلق وبدون نهاية.

ما كان أبدا ولن يصير، لأنه الآن كله مساو لذاته،

واحد متصل:عن أية ولادة نبحث له،

عن أي شكل من النمو وانطلقا من أين؟أن يكون انطلاقا من اللا كائن،

لن اسمح لك لا بالتعبير عن ذلك ولا بالتفكير به، لأنه ليس قابلا للتعبير ولا للتفكير،

أن يستطيع أن لا يكون، أي ضرورة بعثت إلى التفتح،

عجلا أم أجلا ما له في العدم مبدأ؟

هكذا يجب أن يكون كليا أو لا يكون ألبته.

ومما هو كائن لن يسلم الإيمان غير المتزعزع،

بان يحصل شيء إضافة إليه.لذلك لم تسمح العدالة،

بفك ربطها، لما هو كائن إن يولد أو يموت،

بل أنها تحافظ عليه.بشان ذلك يوجد للحكم احد الاحتمالين:

يكون أو لا يكون.قضي أذن ضرورة،

انه يجب التخلي عن الطريق الأولى، التي لا يمكن التفكير بها ولا تسميتها،

لأنها ليست طريق الحقيقة- بنوع أن الأخرى تبقى، وهي الحقيقة.

كيف يأتي الكائن إلى الكينونة فيما بعد؟ كيف أتى إلى الكينونة؟

انه أتى إلى الكينونة، فهو غير كائن، حتى ولو وجب يوما أن يأتي إلى الكينونة.

هكذا تنطفئ الولادة ويستحيل الكلام عن الزوال.

ليس قابلا للتجزئة، لأنه كله مساو لذاته.

لا يستطيع أن يكسب شيء ما، فهذا ينزع عنه الاستمرار،

ولا أن يفقد شيئا، لأنه مليء بالكائن.

هكذا انه كله متصلا، لان الكائن متلاصق مع الكائن.

علاوة على ذلك، لا متحرك بين حدود ربط شديدة،

انه بدون بداية ولا نهاية، لان الولادة والفساد،

ابعدا عنه بشكل مطلق، وأقصيا بالإيمان الصحيح.

الذات يسكن في الذات ويسترح في ذاته،

ويبقى هكذا في(إلُهنا)، إلا متبدل، لان الضرورة السيدة،

تمسكه ضمن قيود حدود تحيط به كل صوب.

لذلك تقضي العدالة بان لا يكون الكائن غير مكتمل:

انه، في الواقع بلا نقص، ولو لم يكن، لنَقَصَهُ كل شيء.

لأنك لن تجد أبدا التفكير بدون الكائن، الذي فيه يتبدى بالكلمة،

لأنه لاشيء أخر يكون أو سوف يكون،

إلى جانب الكائن، لان المصير قيده،

كي يبقى الكل في اللا تحرك، وبموجبه يصير اسما.

كل ما يقدمه المائتون، لإقناعهم بأنه حقيقة،

الولادة والفساد، الكينونة واللا كينونة،

تغيير المكان، ونمو ونقص مساحة ضوء القمر،

وأيضا، لان الحد هو الطرف، انه مكتمل من كل الجهات،

شبيه بانحناء كرة الفلك الجميل،

متساو في كل الاتجاهات انطلاقا من المركز: لأنه لايجوز أن يكون هنا أو هناك اكبر أو اصغر.

لا توجد ألبته في الواقع لا كينونة، تحول دون بلوغه المماثلة،

ولكونه الكائن لا يستطيع أن يملك، هنا أكثر وهناك اقل،

لأنه كل سليم. له من كل الجهات المقياس ذاته كنفسه، انه أذن متساو وضمن حدوده(٤١).

الخلاصة:

يعد الازدهار الحضاري لأي امة من الأمم منعطفا مهما من منعطفات التطور الثقافي والمادي لها، وتعد الحضارة المصرية القديمة واليونانية، فضلا عن الحضارات القديمة الأخرى علامات بارزة في طريق تطور الفكر الإنساني ورقيه، فقد صاغت وطرحت التساؤلات الأولى عن أصل الوجود والآلهة والإنسان، وقد شكلت الإجابات عن تلك الأسئلة، اتجاهات فكرية ومواقف فلسفية مازالت تتصارع إلى يومنا هذا، وكان ذلك الصراع السبب في تطور الأفكار ورقيها. أن الحقول الفلسفية التي تتصل بالحياة اليومية، مثل الدين والأخلاق والسياسة وغيرها، لايمكن الاستغناء عنها في مسيرة الحياة الإنسانية، وقد تطورت عبر التواصل الفكري بين الأمم والشعوب.

لقد تتبعنا في بحثنا هذا فكرة توحيد العبادات في اله واحد وتطورها وانبثاقها منذ القدم، واشرنا إلى أن للحضارة المصرية القديمة السبق في طرح تلك الفكرة، وتمثل ذلك بعبادة الإله الواحد، كما تباين مستوى العبادات تلك بين قدماء المصريين من حين لأخر، فمنهم من ينظر إلى الشمس بوصفها الإله، ومنهم من يرى أن الإله يمثل القوة التي تكمن خلف قرص الشمس المتحرك، كما اختلفت أسماء الإله الشمس من حين لأخر وأطلق عيها أسماء كثيرة مثل:رع، آمون ، آتون وغيرها، وكانت الفكرة الأساسية في هذا البحث تتعلق في

مسالة توحيد العبادات في الحضارة المصرية التي تبناها اخناتون، واجبر قدماء المصريين على عبادة الإله آتون، الذي يمثل رمز التوحيد، واثر تلك الفكرة على الفلاسفة اليونان، خاصة فلاسفة المدرسة الآيلية .

أن تلك الفكرة قد سبقت الأفكار اليونانية حول مبدأ الوحدة في الوجود التي ظهرت مع ظهور التفلسف في بداية القرن السادس قبل الميلاد، خاصة في فكر المدرسة الايلية الذي يمثله بشكل أساسي كل من أكسينوفان وبارمنيدس، فضلا عن اختلاط الفكر الديني مع الفكر الفلسفي عند اليونان يرجح أسبقية اخناتون في ذلك، وما الفكر اليوناني في هذا الجانب إلا إعادة صياغة جديدة لتلك الأفكار.

لقد كانت فكرة التوحيد أنموذجا للتشابه الفكري بين قدماء المصريين واليونانيين، وكانت للصلات الثقافية والفكرية أثرها في نقل تلك الفكرة إلى الثقافة اليونانية، من خلال زيارة كثير من الفلاسفة اليونان إلى مصر والاطلاع على ارثها الثقافي والتأثر به. أن فكرة الإله الواحد الذي قال بها أكسينوفان، ثم قول بارمنيدس في أن الكل هو الواحد، ولا يوجد غير الواحد المطلق الأبدي السرمدي، أن هي إلا إعادة لأقوال اخناتون في الإله الواحد الذي ليس بجانبه شيء لأحد، تلك الفكرة التي جعلته أول فيلسوف موحد.

الهوامش:

١. سيد كريم، لغز الحضارة الفرعونية (المصرية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٨. كذالك انظر: جيمس هنري برستيد، فجر الضمير، ترجمة الدكتور سليم حسن، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٣١ وما بعدها.

٢. المصدر نفسه، ص٦٨.

٣. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني، حضارة وادي النيل، ط٢، بغداد، ١٩٥٦، ص٨٩. وجيمس هنري بريستيد، المصدر السابق، ص٩٩.

٤. المصدر السابق، ص٩٠، ١٠٧.

٥. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٢.

٦. سيد كريم، المصدر السابق، ص٧٩.

٧. المصدر نفسه، ص٧٨.

٨. ول ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج١، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٦٨.

٩. المصدر نفسه، ص١٦٩.

١٠. المصدر نفسه والصفحة.

١١. المصدر السابق، ص١٧٦.

١٢. سيد كريم، المصدر السابق، ص٨٠.

١٣ .المصدر نفسه، ص٨٢-٨٣.

١٤. المصدر نفسه، ص٨٢.

١٥. محمد العزب موسى، حكماء وادي النيل، القاهرة، ١٩٩٠، ص٧.

١٦. جورج سارتون، تاريخ العلم، ج٣، ترجمة لفيف من المفكرين العرب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨، ص٢٠.

١٧. المصدر نفسه والصفحة.

١٨. كما كان يتصورها اليونان من أنها تسكن أعالي حبل الأولمب ولهم عائلات وشجرة انساب. ينظر: موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، المجلد الأول، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريان ريان، منشورات عويدات، بيروت ١٩٦٤، ص٢٩٤.

١٩. صاموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، ١٩٧١، ص١٩.

٢٠. أرسطو، ما بعد الطبيعة، مقالة الألف، الفصل الخامس، ص٩٨٦.

٢١. محمد جديدي، الفلسفة الإغريقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ٢٠٠٩، ص١٧٥ وما بعدها.

٢٢. حسام محي الدين الالوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس او من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، بغداد، ١٩٨٦، ص١٢٥.

٢٣. فردريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، تعريب سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٣٠. والالوسي، المصدر السابق، ص١٢٥، كذلك انظر فؤاد زكريا، دراسة لجمهورية أفلاطون، راجعها عن الأصل العربي د.محمد سليم سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٣. وعبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، ط٥، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ص٨٥.

٢٤. j- purnt: early creek Philosophy, p. ١٨.

٢٥. الالوسي، المصدر السابق، ص١٨٣.

٢٦. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، ج١، ص٣٠.

٢٧. الالوسي، المصدر السابق، ص١٧٤-١٧٦.

٢٨. هنري فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، راجعه محمد الأمين، منشورات مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦٠، ص٢٧٨.

٢٩. أولف جيجن، المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، ترجمة عزت قرني، القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٠٩.

٣٠. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٨.

٣١. محمد علي أبو ريان، المصدر السابق، ص٢٩.

٣٢. محمد جديدي، الفلسفة الإغريقية، ص١٧٥.

٣٣. محمد علي أبو ريان، المصدر السابق، ص٧٤.

٣٤. ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص٤٦.

٣٥. محمد علي أبو ريان، المصدر السابق، ٢١.

٣٦. محمد جديدي، المصدر السابق، ص١٧٧.

٣٧. احمد فواد الاهواني، فجر الفلسفة اليونانية، الشذرة / ٦ ن، ط١، القاهرة، ١٩٥، ص١٣١.

٣٨.أرسطو، الطبيعة، شروح ابن السمح، الترجمة العربية القديمة، ص٢٢، وفرانكفورت، المصدر السابق، ص٨٩.

٣٩. فردريك نيتشة، المصدر السابق، ص٧٢.

٤٠. محمد جديدي، المصدر السابق، ص١٧٨.

٤١. ميشلين سوفاج، برمنيدس، ترجمة بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص٥٣-٦١، نقلا عن محمد جديدي، المصدر السابق.